# النساء في الفضاء الافتراضي : الفرص والتحديات

**نـهوند القادري عيسى**

**أستاذة في كلية الإعلام بالجامعة اللبنانية**

تستدعي مقاربة هذا الموضوع الأخذ في الاعتبار السياقات المحيطة بأوضاع النساء المتنوعة والمتبدلة، والآليات المعتمدة في بناء قضاياهن، وسياقات تشكل الفضاء الافتراضي ومدى ارتباطه بالفضاء الواقعي، وانعكاسات هذا الارتباط على النساء انفسهن . وهذا ما يتطلب التنبه الى جملة أمور، منها :

- عدم إطلاق الأحكام الجاهزة سلباً وايجاباً على عالم الانترنت، الذي غدا جزءا من واقعنا المعيش. والنظر إلى التكنولوجيا على أنها فاعلٌ مندرجٌ في مركّب من العوامل الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية. على سبيل المثال، كشفت هذه التقنيات، التي عُدّت وسائل تحرر، عن كونها وسائل جديدة من الرقابة ومن الضغط في الوقت عينه، خصوصا بعدما غدت "البيغ داتا" من أهم المتعاملين مع أجهزة الاستخبارات، شركات الاعلان، الحكومات .
- الحذر في تبني المقاربة الوظيفية التي تعفي القيميين على منظومة الاتصال من مسؤولياتهم، وتلقي التبعة على المستخدم تحت عنوان حرية الاختيار، بغض النظر عن ظروف هذا الأخير ومؤهلاته، وواقعه، خصوصاً في ظل ما نشهده من تباعد متزايد بين غائية المصمم والمتعهد والمستخدم.
- الأخذ بالاعتبار بروز خطاب اتصالي ديمقراطي جديد تخللته انزياحات مفاهيمية تحمل دلالات تؤشر على عمليات تسييل البنى الصلبة بمركزيتها وهياكلها التنظيمية، وعلى إزاحة الأيديولوجيا لصالح أسطرة الخطاب الاتصالي. (مقابل مصطلح الشعب طفت مصطلحات الكثرة، التعدد، مقابل المصلحة العامة- المصلحة المشتركة، الفضاء العمومي- الفضاء الاجتماعي، الالتزام الحزبي والنضالي - الاستقلالية المدنية، الالتزام المدني- الالتزام الضعيف المقترن بالنشاط الرخو).
- النظر إلى حركات التحرر النسائية في العالم الافتراضي على أنها ديناميات جديدة في طور التشكل، لها امتدادات في الماضي، وتفتح آفاق المستقبل على احتمالات متعددة ملتبسة ومتناقضة.
- عدم إغفال الشروط الواجب توافرها لتتمكن المجموعات النسائية الناشطة من المرور من المشاركة البسيطة على النت (الاعجاب، النقر، المشاركة، النشر... الخ ) إلى الالتزام الحقيقي على أرض الواقع، أي عدم إغفال الصعوبات الناجمة عن حركة الذهاب والإياب بين الواقعي والافتراضي، بما يحمله الواقعي من تحديات تتمثل في مواجهة المجال السياسي بأشكالها الناعمة والعنيفة، وما يحمله الافتراضي من فرص ومخاطر، ومن وعود وأوهام. أي الأخذ بالاعتبار ميوعة الصراعات الاجتماعية والسياسية وتعقيداتها. ما يعني استحالة الفصل بين العالمين الافتراضي والواقعي. فالنساء، لاسيما الشابات اللواتي تموضعن في العالم الافتراضي لم يهبطن من كوكب آخر، ولم يتخلين كلياً عن إرثهن الثقافي، ولا انعزلن كلياً عن مجموعاتهن. هن اجتهدن لتوليف الفردي مع الجماعي. فكانت عملية تطبعهن مع هذا العالم أحياناً هادئة ومرنة وآسرة، واحيانا أخرى قلقة ، مربكة ، ومرعبة ، لدرجة ضاعت فيها الحدود بين الجد واللعب، بين الفردي والجماعي، بين الواقعي والافتراضي. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أنه بقدر ما تصبح الحدود بين الواقعي والافتراضي غائمة بقدر ما تصبح حالات وعيها أكثر فأكثر شائكة، وبقدر ما تزداد حيرتنا أمام السؤال فيما إذا كان لدينا الحق في الاحتفاظ بالتباعد بين حياتنا الرقمية وحياتنا الواقعية؟ وفيما إذا كانت دعوات التمييز على اساس الجنس، او مظاهر العنف والعنصرية والكراهية والإرهاب التي تفشت في الفضاء الافتراضي أتت بمعزل عما يجري على ارض الواقع من صراعات وحروب ومظالم، وفتن ودسائس، خصوصاً بعدما تبين أن العالم الافتراضي دفع بالثقافة السائدة على أرض الواقع لأن تنزع أقنعتها، فغدت المواقف والآراء تعلن بطريقة فجة، كرد فعل على التهميش والقمع والكبت .

ذلك يعني أن مقاربة هذا الموضوع لا تستقيم دون التساؤل عن معنى ممارسة الإدارة الذاتية وانعكاساتها على الديمقراطية. وعن المخاوف الناجمة عن الكلام غير الموجه، ولا دون التساؤل عن مفاعيل الخلط بين الإعلام والاتصال، الإعلام والمعرفة ، الضجة والكلام، التقنية والثقافة، الخاص والعام، حرية الإعلام وحرية التعبير. فكما هو ملاحظ، بسبب عدم التمييز بين حرية التعبير وحرية الإعلام تحّول الفضاء السيبري إلى مرتع للفبركة واختلاق الأكاذيب والدعوات للعنصرية والتعصب والكراهية . كذلك أدى الإقران البديهي بين الإعلام الحر والديمقراطية إلى اختزال ينم عن عدم معرفة بعلاقات القوة في المجتمع. بالإضافة إلى أن الافتراضات الخطية أفضت الى تشوهات بحثية لا تعد ولا تحصى ؛ كمثل الافتراض بأن لكل من الإعلام والاتصال طاقات تربوية بمعزل عن شروط وظروف تحققها، وأن الغزارة تكفل صحة الرسائل وصدقها، وأن الاتصال يخلق روابط اجتماعية بشكل سحري .

**تعدد وتنوع أوضاع النساء بالتوازي مع تحولات الفضاء العام**

تاريخياً، تظافرت مصالح ذكورية عديدة على تهميش النساء تحت عنوان الطبيعي والبديهي، فاحتكر الذكور الفضاء العمومي، وحشرت النساء في الفضاء الخاص. غير أن ردود فعل النساء على التهميش اتخذت أشكالا عديدة ؛ منهن من استبطن المعايير الذكورية وأعدن انتاجها ليتم الاعتراف بهن وبقدراتهن، ومنهن من ارتضين لعبة الفصل والتخصيص، وفئة حاولت التوفيق بين الرغبات الذاتية والمتطلبات الذكورية، وفئة حاولت هدم النظام واضعة البناء الجندري موضع تساؤل. لذلك نلحظ تنوعاً وتشظياً في مواقف النساء تجاه قضاياهن، بفعل الفوارق العائدة لمتغير الجيل، للطبقة والعرق والانتماء الديني والمذهبي، والموقع الاجتماعي،والإعداد الثقافي. فوجدنا انفسنا أمام نساء ليبراليات حداثيات،يعتبرن أنفسهن متحررات، وأخريات محافظات تقليديات يعتبرن أنفسهن ملتزمات، ونساء يحاولن التوفيق بين الحداثة والتقليد. وإن كان القاسم المشترك فيما بين هذه الفئات هو الوقوع في أسر المجتمع الاستهلاكي وتحت ضغط قيمه وأنماط عيشه.

وكان أن ظهرت في الفترة الاخيرة بعض السياقات الملائمة لإعادة شيء من التوازن على مستوى حضور النساء، تمثلت في الآتي: ظهور نساء مؤرخات، حركات نسوية في السبعينيات، تزايد أعداد الإناث في الجامعات وفي مختلف الاختصاصات، وفي تولي مهمات متنوعة، نشر كتابات فوكو، تطوير إشكاليات النوع، إعادة مراجعة لمفاهيم عديدة : الفضاء العام، الديمقراطية، السياسة، الهوية، وتمثل السياق الأهم في التطورات التكنولوجية والاتصالية المتسارعة. إذ سببت منظومة الميلتيميديا من بين عوامل أخرى تشظي الفضاء العام إلى فضاءات ضاعت فيها الحدود، ما أدى إلى انزياح الهوامش إلى المركز وبالعكس.

وأتاحت تحولات الفضاءات وتشابكاتها من ناحية، للنساء امكانات التفلت من الهويات الجندرية المرسومة، ما سهّل عليهن التنقل بين الفضاءات، ووضعتهن من ناحية ثانية، في قلب عاصفة التوترات الناجمة عن ثنائية العولمة والخصوصية، وما نتج عنها من تغييب للعوامل الطبقية، الإثنية ، الكولونيالية، الجندرية وغيرها. وكان من مفاعيل المتغيرات المتسارعة على المستوى التكنولوجي والاتصالي أن وجد الفرد، ذكرا كان أم انثى، نفسه موضع تنازع بين عالمين : عالم واقعي معولم يعيش أزمات حادة تطال عمق البنى الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية، يحكمه عملياً رأسمال منفلت من عقاله، يعمل جاهداً على إزاحة الحواجز التي سبق ووضعتها البنى الصلبة للحد من جموحه ولتخفيف حدة التفاوت المعيشي بين البشر، عاملاً بفعل متغيرات عديدة على تسييلها مفاهيمياً وعملياً. ما يعني ان هذا العالم ذاهب نحو مزيد من العنف والتطرف واللاعدالة. وعالم

**افتراضي تمحور في البداية حول مفهوم الاتصال،** ليتحول لاحقاً إلى منظومة متكاملة لا تخلو من الأسطرة، حاملة سلسلة من الوعود المتمثلة بـ. الوفرة- الدمقرطة- الاستقلالية- العولمة- اختصار الزمان والمكان. تلاقى ذلك مع **خطاب النهايات** الذي أعلن نهاية الأيديولوجيا، نهاية الطبقات، و نهاية السياسي، أو ما أسماه البعض بالتحلل السياسي، ومع بروز **لممارسات خطابية ديمقراطية جديدة** تنتظم حول مصطلحات التفاعلية والأفقية، لتتكرس لاحقاً كقيم جديدة. وراجت على المستوى الاقتصادي تسميات اقتصاد المعرفة، افتصاد الانتباه.

هذا التنازع بين العالمين جعل الزَّمن الذي يعيشه الأفراد مزيجا من الأزمنة المتداخلة، تجمع بين الواقعي والافتراضي، أزمنة تضع الفرد أمام "سيل" من اللّحظات الحاضرة المتدفّقة التي تسير جميعها بموازاة بعضها بعضاً، من دون أن توقِف إحداها الأخرى. نتج من اقتحام العالم الافتراضي للعالم الواقعي ازدواجية الحضور- اللّاحضور. فمستخدمو وسائل الاتّصال الحديثة هُم في حالة ارتباك بين الـ"هنا" والـ"هناك"(كحال ،2017). في هذا الصدد، رأى البعض أن الشبكات الاجتماعية الرقمية تقترب أكثر فأكثر من الحماقة التي تم وصفها بالتلبك الفكري، المتمثلة بعدم ثبات الانتباه،، بتغيير الآراء، وبالنتيجة بالضعف أمام الأحداث التي يمكن أن تحصل. وهي تتميز أيضاً بأنها تجّور الفكر نحو المستقبل، وتجعله فضوليا للجديد وتمنعه من أن تكون لديه نقطة ثابتة لامتلاك الحقيقة المكتسبة. وهذا ما يستدعي السؤال حول مخيلة الشابات من الرواد المدمنين على شبكات التواصل الاجتماعي، اللواتي لا يمارسن فقط نشاطا فكرياً أو تخيلياً. فهؤلاء، لإجراء تبادلاتهن عن بعد، مطلوب منهن عدد كبير من الإشارات، فهم مدعووات لتعبئة سجلات عن شخصيتهن، الرد على استبيانات، تقييم صور، إرسال ايميلات ، انطباعات، فلاشات في كل الاتجاهات. غير أن ميزة التأثرات الأولية المرتبطة بهذا النشاط المحموم **هو تبخرها. هذا عدا عن غياب الإلتزام لزمن طويل، ضعف الانخراط العاطفي.** فالمستخدم وهو يمر من ممكن الى آخر، من بروفيل الى آخر، يعيش رغبات صغيرة متتابعة ، نفور، حب متناهي الصغر، رغبات منسية في فناء الوقت الحقيقي الذي هو في الحقيقة وقتاً غير حقيقياً لأنه إلى زوال وبلا ذاكرة.(Parmentier,2011) هذا عدا عن المفاعيل الناجمة عن ضياع حدود الزمان والمكان على مستوى القدرة على الصبر والتحمل والتركيز، والمتابعة. وهذا ما يحدونا للتساؤل عن امكانات تحكم الشابات الطامحات لبناء صورتهن وصوغ هويتهن في ظل وقوعهن **تحت ضغط عالمين :** عالم المرجعيات والثقافات التقليدية والتراتبيات الهرمية، وعالم افتراضي يقدم نفسه على انه خال من الايديولوجيا ومن الهرمية والتراتبية. ولنتساءل ايضا عن الطرق التي تفاوض فيها الشابات هذين العالمين، ليتمكّن من الموازنة بين حيواتهن الخاصة وعرضهن لذواتهن على النت، بغرض توسيع شبكاتهن الاجتماعية. يجد "روزا Rosa" أنه لم يَعُد من الممكن التمسّك بمفهوم الهويّة الذاتيّة المستقرّة. إذ تزايدت، في الحداثة المتقدّمة، الخيارات في كلّ ما يخصّ المجالات التي تمسّ الحياة اليومية، وباتت إمكانية المراجعة تعني أنّ الهويّة الشخصيّة صارت "مؤقّتة" الطابع أو وضعية، وأنّ الهويّات صارت تُبنى ويُعاد بناؤها. من هنا يشدِّد "روزا Rosa" على مفهوم "الوقت المؤقَّت" الآخذ في التنامي في المجتمعات الغربية. هذا التسريع الذي يعيشه الفرد يجعل من الكآبة مرض الحداثة المتقدّمة، وذلك نتيجة تجارب الضغط المتمادي وإيقاع التجارب الجنوني **ودرجة عالية من الـ"الاستقرار"**، وهي ردّة فعل نفسية تتميّز بالشعور بالوقت المتخثّر المعلَّق وغياب المستقبل.(روزا ،2017)

لذا يدور النقاش حاليا **حول معضلة إزالة البيانات والآثار التي تخلفها وراءها الهويات،** والتي مردها إشكاليات تتعلق بطرق التواجد على الشبكة، المقترنة بفعل الحضور أو **الإحضار المؤطر من قبل المنصات**

سواء كان من خلال تجميع لخصائص الشخصية أو تاريخها على الشبكة، والتي تصبح عاملاً محدداً ليس فقط في إدارة نماذج التسجيل أو السمعة، إنما غالبا في تقييم مصداقية أو أحيانا موثوقية الهوية الرقمية.

**للوهلة الأولى، يتكون لدينا الانطباع بغنى الوصول، في حين أنه عندما ننظر عن قرب نجد أنفسنا أمام فقر الخيارات، أي في البداية يتكون لدينا الانطباع بأننا يمكننا أن نمد وجودنا على عدة شبكات، في حين نجد أنفسنا في الواقع في نظام ايكولوجي مُسيطَر عليه من قبل 4 أو 5 شركات**. وهذا ما يوقع الهوية الاجتماعية الرقمية تحت ضغوط بعض المنصات "غوغل" "فيسبوك" " تويتر" . في هذا الصدد، ميّز بعض الباحثين من جهة، بين ما هو مرئي أي لصق الإعلان على الشاشة كوثيقة يمكننا أن نتحكم بها نسبياً، ومن جهة ثانية، التسجيل كمعطى أي كل ما يبقى في الخوادم والديسكات الصلبة، التي نخسر في الواقع التحكم بها، لأن هذه المعطيات تصبح ملكاً للمنصات الرقمية.

وهكذا غدت الهوية الرقمية مسألة عمومية، واصبح يتوجب البت في من له الحق في تولي الهوية ؟ الدولة، مالك المنصة، الانترنت، الفرد نفسه ؟ ما يعني ان الموضوع غدا محاطا بالحقائق المتداخلة مع الأوهام والوعود والتحذيرات والتخويف والإنذارات والأفكار الجاهزة.

**تنوع وتضارب الحضور النسائي في العالم الافتراضي**

يرينا الاستعراض السريع لتموضع النساء في العالم الافتراضي بروزا لأصوات نسائية متعددة، خصوصاً وأن الكتابة لم تعد حكرا على النخبة، فهناك من تعبر عما يجول في خاطرها، واخرى ناشطة تدافع عن قضايا المرأة، وهناك الناشطة الدعوية وتلك المنشغلة بمتابعة وصفات التجميل والطبخ والاهتمام بالمنزل والأسرة والاطفال، واخرى تعمد الى فضح الممارسات الذكورية التي بقيت لفترة طويلة مسكوتا عنها كمثل التحرش والاغتصاب ... الخ ، وغيرها الكثير .ففي هذا المشهد الذي يصعب حصره نجد صراعات لا مثيل لها بين مواقف وتوجهات متضادة ومتداخلة، هناك من تحقق تقدما وتشعر بأنها فاعلة قادرة على تحقيق ذاتها، وأخرى تتراجع وتصاب بالإحباط، وثالثة تقع فريسة العنف الالكتروني والتنمر، ورابعة يسهل استدراجها وتصبح عرضة للابتزاز، وخامسة تشعر بالعجز والفشل، وتصبح عرضة للصدمات العاطفية، وسادسة تلهث وراء توثيق اللحظة، وتستعرض الصور كيفما كان، وسابعة وجدت فرصتها في العمل اون لاين من المنزل، وثامنة وجدت فرصتها في توسيع شبكة علاقاتها واتصالاتها.

على مستوى المجموعات المنظمة، نتساءل كم هي المواقع النسائية المنتجة، المحمية جيدا والتي يتم تحيينها دوما والتي تحقق التفاعلية على الاقل بين الاجيال ، وبين النساء والرجال. والتي تسعى لتعميق البعد المعرفي ، والمهني والاخلاقي والتفاعلي على حد سواء. مرسخة الأمن الرقمي في بنيتها عبر التدريب وبناء القدرات والإمكانات.

لذا فإن من يراهن على تغيير واقع النساء من خلال تموضعهن في الفضاء الافتراضي، لا بد وان يتوقف مليا أمام **العوامل التي تحول دون تمكن الشابات من رواد شبكات التواصل الاجتماعي من ترجمة طموحاتهن في التغيير على أرض الواقع، وان يتساءل عن صعوبة تأطيرهن في ظل تغييب المرجعيات الفكرية المركزية.** يجد "روزا Rosa" أنّ التسريع الاجتماعي في الحداثة بات مساراً يغذّي نفسه ويضع التّسارع التقني وتسارع التغيير الاجتماعي وتسارع إيقاع الحياة في علاقة تداول. وهو يجد أن التغيير الإجتماعي عندما يصل **إلى إيقاع أسرع من توالي الأجيال يتحول إلى غموض بنيويّ يحمل الكثير من الفوضى.** هذا الانتقال من

مساحة الأمكنة إلى "مساحة التدفّقات" بحسب "مانويل كاستيلManuel Castells" **يتميّز بمنظومة تفتقد إلى المركز، وتعمل وفق شبكة بلا تراتبية مستقرّة.**

لهذا السبب نصادف العديد من المبادرات التلقائية العفوية دون قائد،الرافضة لأشكال التنظيم التراتبي، والكثير من الحركات التي تتفتح كالزهور ثم تموت لانها تفتقد الى الجذور. ولقد وصفها أحد الباحثين **أنها مجموعات مرنة، بدون تراتبية، مؤقتاً متحدة حول قيم ومصالح مشتركة. وكنتيجة لأنماط تحركها، بقيت نسبيا قليلة الأهمية عددا، وفعلاً واستمرارية،** متسائلاً : إذا كان نشاط هذه المجموعات هو غير عنفي، غير منظم، غير دائم، وغير تراتبي، كيف يمكن لها أن تشكل تهديداً للنظام القائم؟( Rognetta,2012)

نتج من هذا التسارع جملة مشاكل تواجه مستخدمات الويب لا تتمثل بالوصول إلى المعلومات، إنما بالقدرة على معالجتها( وصفها تحليلها وتقاطعها مع معلومات اخرى). إذ غدا الانتباه لا المعلومة هو السلعة النادرة. وغدا تدفق الصور والمعلومات يحكم **على الشبان بمرض نقص الانتباه**. هناك طبقة كثيفة من الرسائل، من الصعوبة التمييز في داخلها من يتكلم ومن يسمع ، ومن ينتج ومن يتلقى، من يعمل بانتباه ومن يتسلى. ولتتمكن المصانع من تصريف منتوجاتها المصنوعة يتوجب على الميديا ان تصنع الذاتيات الراغبة في شرائها. ( Citton,2012) في هذا السياق، ضعف القدرة على الانتباه يتقدم بسرعة ويطال الكثير من المجالات، لدرجة أن هذا التآكل وصل الى درجة حرجة ، كمثل ضياع القدرة على التركيز بطريقة عميقة ومتماسكة. كذلك يلفت Rosa إلى أنّه في ظل التّسارع المتفلّت من السيطرة الأخلاقية والسياسية قد تُستبدل مشاعر الاستئناس والحميمية بشيء من الاستلاب.(روزا ، 2017)

**قضايا النساء في الفضاء الافتراضي**

في ضوء ما تقدم اعلاه ، قد نتساءل كيف يمكن للنساء ان يستفدن من الفضاء العمومي الافتراضي لطرح قضاياهن المحقة للنقاش ؟ ان محاولة الإجابة تتطلب البحث في آليات بناء القضايا العمومية، والتي تمربعدة مراحل: تبدأ بتعيين القضية وإعطائها هوية معينة(Identifier )، من قبل متعهدين يجدون مشكلة تحيط بوضع معين، فيخضعونها للنقد، للنقاش، ومن ثم للفعل أو للتحرك لمعالجتها. تليها مرحلة تأطير القضية (cadrer)، أي العمل على أشكلتها والتعبير عنها عبر سردها وروايتها. ومن ثم العمل على تبريرها (justifier) أي الاهتمام ببناء الحجج الوازنة وذات المصداقية، والتفكير في كيفية تبيان خطورتها، وكيفية تلقي المجتمع لها. ليأتي العمل لاحقاً على إشهار القضية وتعميمها (populariser)، أي إدخالها في حقل الفضاء العمومي، الذي تعد وسائل الاعلام والانترنت والشبكات الاجتماعية من أبرز منتدياته، وقد يترافق ذلك مع تحركات وتظاهرات بهدف أعلمتها أي جذب الميديا إليها. وتأتي المرحلة الأخيرة المتمثلة بوضع القضية على أجندا السياسيات العمومية ، كمثل سن قانون أو إيجاد إدارة خاصة للإهتمام بها. غير أن مسار تشكل القضايا العمومية في سياق التحولات الطارئة على الثقافة، بفعل انتصار الحس العام النيوليبرالي، والتغيير في دور الدولة، ومكانة اللامساواة المادية، أسس لآليات تعمل على حلّ القضايا العمومية، تتسم بالفردنة، النفسنة، الإحالة على الصفات الشخصية للأفراد، أي نزع الصفات الاجتماعية عنها، والنظر إلى الفرد على أنه معزول عن النسق. وبهذا غدت العوامل النفسية تحجب المسائل الاجتماعية والسياسية.(Neveu,2015)

**التحديات المطروحة أمام الحركات النسوية في العالم الافتراضي**

غدت الحركات النسوية الراهنة تعد جزءا من الحركات المسماة "الحركات الاجتماعية الجديدة"، والتي قدّمت إطارا مناسباً تلاقت فيه ثلاث ظواهر : ظاهرة السخط والاستنكار – التشبيك الرقمي المواطن-

انبثاق ثقافة نضالية جديدة أعطت الكلام لفئات اجتماعية جديدة كانت بالأساس صامتة سياسياً. غير أن شروط النضال السيبري المثمر يتعلق بمتطلبات غير اتصالية، لأنه بدون تصور عام لدمقرطة المجتمع المدني والدولة، يصبح العمل من خلال الشبكات محدوداً جداً. وتبرهن غالبية التجارب النضالية أن عامل التكنولوجيا الاتصالية يمكنه ان يسرّع الأحداث وأن يبلور دينامية تغيير في علاقات القوة السائدة، لكنّه لا يغير لوحده هذه العلاقات. بالتأكيد، يجب التساؤل عن الشروط والظروف التي يمارس فيها النضال السيبري، الثقافة السياسية، درجة القمع، مستوى حرية التعبير الخ. (Gingras,2009 ) ويمكن ان نتوقف عند بعض التحديات الكبرى التي تواجه هذه الحركات :

- **تحدي الاستقلالية**

تعترض هذه الحركات تحديات لجهة استقلاليتها، لكونها بحاجة إلى موارد لتقاوم الرقابة، ولكون غالبيتها واقعة بين أنظمة تراقب، تقمع، تفلتر، عدا عن التعاون بين الادارات و"البيغ داتا" . فالتسييس المفرط أفسد الفضاء السيبري النشط، وحوّل حرية الانترنت في خدمة الاجندا السياسية (Ben Gharbia,2011.

- **تحدي المواجهة السياسية عبرالانتقال من المشاركة البسيطة على النت إلى الالتزام الحقيقي على أرض الواقع**

من الصعوبة بمكان أن يتحول الاعجاب التشاركي من قبل المستخدمات إلى التزام معيّن، لكون استخدام التقنيات لوحده لا يعد شرطا كافيا للمرور إلى الفعل على الأرض .

- **تحديات ذات صلة بالعالم الافتراضي**

أن فضاء الانترنت الواقع في قلب استراتيجيات واقتصاد السوق لا يتيح للجميع بالتساوي الصوت نفسه والشرعية عينها. فوزن الفاعلين، سلطتهم، كفاءتهم التقنية، ومستوى التزامهم يرسم علاقات قوة تنظم الظهور على الشبكة.هذا الفضاء الداعي إلى ديمقراطية الناشطين يخاطر دوما بأن يترك على قارعة الطريق الصامتين وغير المتصلين. وهذا ما يحدونا للتساؤل عن نوع النقاش العقلاني الذي يمكن ان يبزغ في بازار الفضاء الافتراضي. وعن المعنى الذي يمكن أن تحمله غزارة المحادثات المتشابكة العاكسة لميل الافراد في عرض أنفسهم . الجواب الذي حمله المستخدمون على هذه التساؤلات هو التنظيم الذاتي. غير أن التخوف إزاء الكلام من دون توجيه أو رقابة يخفي تخوفا أكبر من المجتمع المنتظم ذاتيا (Cardon, 2010 ).

- **تحديات ذات علاقة بأخلاقيات الرقمي**

تحيلنا هذه التحديات تلقائيا إلى مجموعة مسائل ومواضيع : ال"بيغ داتا" وحماية المعطيات الشخصية، الشفافية ازاء الزبائن ، تضخم المعلومات، اختلاط الحدود بين الحياة الخاصة والحياة المهنية، التباعد الرقمي بين الأجيال والأماكن، الآثار، تنبؤات المعادلات الحسابية. ويقع الفعل في قلب هذه المقاربات، لكون الرقمي فتح فضاءً جديداً للفعل، من خلال مضاعفة إمكانات الفعل الانساني وإعطائه بعدا تضخيميا معيناً. هذا عدا عن توسع بعض الممارسات الخارجة عن القانون وغيرالاخلاقية مع الرقمية. كذلك انتشرت الشائعات الكاذبة

والنقاشات المزيفة المعدة للترويج لماركة أو لشخص معين . وهذا ما يطرح مسألة مصداقية المعطيات والبيانات ، تلك المواد التي أصبحت ثمينة على مستوى الاقتصاد الرقمي. في هذا السياق ، من المفيد الاستنتاج بأن ابتكار معايير جديدة لإعادة التوازن لتلك الملامح المعيارية للرقمي على أنها الأكثر سلبية بالنسبة للاتصال المتواصل . لذا تم ابتكار "الحق في عدم الاتصال"، وفيما يتعلق بذاكرة الأدوات الرقمية، تم ابتكار "الحق في النسيان".[1]

غير أن الافتراض بأن التقنيات الرقمية المتاحة في العالم الافتراضي التي تتيح الحشد والاالتعبئة والتدوين تشكل ليس فقط أدوات إنما أيضاً مختبرات تجريبية تسمح ببلورة نماذج تنظيمية اجتماعية وسياسية، يفتح باب الأمل من جديد. هذا الجدل الفكري حول العلاقة بين التكنولوجيات الرقمية والفردانية والتعبئة على مستوى المجموعات، يحيلنا إلى ضرورة التفكير بالالتزام بمطلق قضية بطريقة مغايرة تمارس التفكير المعقد المنطلق من مقاربات متنوعة ومتشابكة، لا تغفل السياقات الاتصالية التي ما برحت تتبدل وتتغير، لدرجة كاد الاتصال يصبح غاية بحد ذاته، ولا السياقات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة، ولا التحولات الطارئة على مستوى تشكل الفرد بحد ذاته .

نختم بضرورة ان تأخذ المدارس زمام المبادرة وان تدرج في مناهجها التعليمية مقررات تعليمية وظيفتها التربية على استخدام شبكات التواصل، وتدريب الطلاب والطالبات على كيفية الابحار في العالم السيبري، واكسابهم مهارات ادارة المعلومات، وبروتوكولات التفاوض مع محيطهم الاجتماعي، بالإضافة إلى توجيههم وترشيد سلوكهم في العالم الافتراضي، بما يحفظ امنهم وصحتهم النفسية .

## المراجع

لمى كحال (2017) ، الإنسان المعاصر بين الزمنين الاتصالي والواقعي- أزمنة متداخلة ومتقاطعة، مؤلف جماعي كتاب باحثات 17 تحت عنوان: الزمن : مقاربات وشهادات، دار التنوير ، بيروت

Marc Parmentier (2011). Philosophie des sites de rencontres, In **Revue Hermes numero 59** ,in Les essentiels d.Hermes ,op.cit ,p 67-79.

هارموت روزا ، التسارع –نقد اجتماعي للوقت، مراجعة بيسان طي (2017) ، باحثات 17، الزمن : مقاربات وشهادات، دار التنوير ، بيروت 2017.

Jean Rognetta, Julie Jammot, Frederic Tardy (2012), La république des reseaux –perils et promesses de la revolution numerique, Paris ,ed. Fayard.

Yves Citton (2014) Pour une écologie de l.attention, Paris, éd. Seuil.

Eric Neveu,(2015), Sociologie politique des problemes publics, ed. Armand Colin, Paris.

Gingras, A.-M. (2009). *Médias et démocratie : le grand malentendu.* Québec: Presses de l'université du Québec.

Sami Ben Gharbia, (14-1-2011) , *Les cyber- activists Arabes face à la liberté sur Internet made in USA*, http://owni.fr/2011/01/ Les cyber- activists Arabes face à la liberté sur Internet made in USA /index.html

[1] Une éthique du numérique ? 13 janvier 2016.www.entreprise2020.fr/une éthique-du-numérique

تاريخ الزيارة 10-2-2018

Cardon, D. (2010). *La démocratie Internet: promesses et limites.* Paris: Seuil.